



مقياس: نظريات الإتصال .

المستوى: السنة الثانية ماستر- تخصص فلسفة عربية إسلامية

الأستاذ: بوشنتوف إسماعيل

البريد الإلكتروني: ismailbouchentouf14@gmail.com

المحاضرة الثامنة: نظرة إستشرافية لوسائل الاتصال المستقبلية .

الاهداف الاجرائية: - التعرف على وسائل الاتصال ومدى تأثيرها على الفرد و المجتمع .

- بناء نظرة استشرافية لوسائل الاتصال المستقبلية

مدخل:

لا تزال التطورات المتسارعة في مجال الاتصال وتكنولوجيا المعلومات ، تلقي بتأثيراتها الجذرية والعميقة ، على مختلف جوانب الحياة البشرية ، الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتعليمية ، وقد عدّها كثير من الباحثين والمختصين مفتاح الولوج إلى المستقبل ، إذ كان لهذا التطور في مجال الاتصال ووسائله تأثير عميق في بنية المجتمعات البشرية عبر التاريخ ، وخاصة المجتمعات المعاصرة التي وصلت إلى أقصى ما يطمح إليه العقل البشري وهي الثورة الرقمية ، فمع كل تطور أو اختراع علمي ، لتسهيل وتحسين أساليب الاتصال كانت البشرية تنتقل من مرحلة حضارية إلى أخرى أكثر تطورا ، وهو ما يعكس الثورة التكنولوجية والرقمية التي عرفها الإنسان المعاصر ، فقد تطورت معه وسائل الاتصال بشكل سريع وملحوظ ، " فقد بدأت خلال القرن التاسع عشر معالم ثورة الاتصال الرابعة ، التي اكتمل نموها في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد كبير من وسائل الاتصال استجابة لعلاج بعض المشكلات الناجمة عن الثورة الصناعية ، وبالتالي أصبحت الأساليب التقليدية للاتصال لا تلي التطورات الضخمة التي شهدها المجتمع الصناعي " (1) كما كان للاختراعات المهمة في مجال الاتصال دورها الحاسم في التطور العلمي ، لاسيما مع اختراع الهاتف و الراديو وكذا التلفزيون ، وكذلك اختراع الأقمار الصناعية التي اعتبرت إحدى المعجزات البشرية في مجال تطوير الاتصالات اللاسلكية ، التي تمت في النصف الثاني من القرن العشرين ، وصولا إلى ظهور الإنترنت التي اعتبرت هي الأخرى ، احدث ثورة معرفية اتصالية غير مسبوقة غيرت وجه العالم اليوم وستغيره مستقبلا ، فما مدى تأثير هذه الوسائل الاتصالية الجديدة على مستقبل الإنسان والمجتمع ؟

لقد كان لوسائط الاتصال الحديثة ذات التكنولوجيا عالية الدقة ، دور في إحداث تغييرات داخل المجتمعات المعاصرة حيث استطاع الانسان بفضل التقنية و التقدم التكنولوجي ، أن يقطع أشواطاً بعيدة في صناعة الاتصال و إيصالها إلى كافة الجماهير " إذ أدى تطور وسائل الاتصال بالشكل الذي نراه اليوم ، إلى نشوء ظاهرة الاتصال الجماهيري ، وأصبحت هذه الظاهرة محط أنظار نخبة من الدارسين ، تعكس إهتمامهم لهذه الوسائل وبآثارها الاجتماعية " (2)

1- على المستوى الفردي :

أدت وسائط الاتصال والإعلام بالفرد إلى أن يعيش في بيئة جديدة تزخر بمتغيرات جديدة تختلف عما عاشه أجدادنا وأبائنا في الماضي، سواء في العادات والتقاليد وأنماط المعيشة أو في طرق التربية والحوار وغيرها من السلوكيات الجديدة التي جاءت بها هذه الوسائل الحديثة. إذ " أصبحت حاجة الانسان إلى الاتصال أكثر من ضرورة " إذ يحتاج الانسان إلى حاجة أساسية أعمق من الضروريات الطبيعية الأخرى ، المتعلقة بالطعام و المأوى إنها الحاجة إلى الاتصال بأقرانه من الكائنات البشرية ، وهذه الرغبة الملحة للإتصال أساسية وتمثل ضرورة للبقاء في حضارتنا المعاصرة " (3)

2- على المستوى الجماعي :

يرى علماء الاجتماع أن الاتصال الجماهيري ظاهرة اجتماعية لها دورها في تراص وتماسك المجتمع، وأيضا لها دورها في بناء العلاقات الاجتماعية، الشئ الذي يوضح أن المجتمع الإنساني يقوم على مجموعة من العلاقات قوامها وأساسها الاتصال. وأن ما يجمع بين أفراد المجتمع هي حقيقة علاقات الاتصال، التي هي ضرورة من ضرورات سيرورة الحياة الاجتماعية. وفي هذا الصدد نجد أحمد بوزيد يعرف الاتصال بأنه: " العملية التي تمكن بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع بصرف النظر حول حجم المجتمع وطبيعة تكوينه وتبادل الآراء والمعلومات والأفكار فيما بينه "

كما ان الاتصال الجماهيري أصبح من الأدوات المهمة والرئيسية ، في مخاطبة الناس والتي عن طريقه ينقل كل المعلومات السمعية والبصرية بشكل مباشر إلى الجماهير ، كما اعتبره العديد من الباحثين في علم الاجتماع " نوعا من الاتساق الاجتماعي ، التي تقوم على مجموعة من البناءات الاجتماعية ، وتؤدي في الوقت ذاته العديد من الوظائف التي حدد الفعل من اجله .(4)

– كما تتجلى أهمية الاتصال الجماهيري ، في عدم إمكان تصور علاقات منسجمة وتفاعلات حقيقية وأنماط سلوك واعية دون وجود عمل ووسائل الاتصال ، حيث أن اختفاء الاتصال ووسائله يعني بالمقابل محو وموت

الحياة الاتصالية المعاصرة ، واختفاء كل أشكال التفاعل الاجتماعي وأنماط السلوك المتحضر " إن المجتمع العام أشد تعقيدا فيما يتعلق بالعمل فقط من خلال الاتصال المباشر بين شخص وآخر ، وحتى تكون رسائلنا المهمة فعالة فلا بد لها من الوصول إلى العديد من الأشخاص في وقت واحد " (5) وذلك بواسطة وسائل فنية جماهيرية معينة كالصحف ، والمجلات والأفلام والإذاعة والتلفزيون ، وهي التي تمكن المصدر سواء كان فردا او مجموعة أفراد ، من الوصول إلى المستقبل أو الجمهور ، قراء و مشاهدين ومستمعين " وهذا هو الاتصال الجماهيري ، الذي ينقل المعلومات والأفكار والمواقف إلى الجمهور الضخم والمتباين ، من خلال استخدام وسائل الاتصال التي طوعت لتحقيق هذا الغرض " (6) ويرى عالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيدنز أن: (لوسائل الإعلام أهمية تعادل ما للمدارس والجامعات في إقامة مجتمع المعرفة، وكلما اتسع هامش الحريات التي تتمتع بها وزاد إهتمامها بالقضايا المهمة مثل الحكم الصالح، والتمكين الاجتماعي، تعززت الحوافز لتأسيس مجتمع المعرفة. غير أن أوجه القصور في وسائل الإعلام العربية تقلل من فاعليتها في هذا المجال، كما أن السيطرة الحكومية وغياب الحريات الصحفية يقفان حجر عثرة ويحولان دون وصول عامة الناس إلى المعلومات. وبالمقارنة مع المعدلات العالمية عموما، فإن نسبة وسائل الإعلام لعدد السكان هي الأدنى في البلدان العربية. وأن أكثر من 70% من قنوات التلفزيون العربية هي تحت إشراف الدولة التي تملك بدورها، وكالات الأنباء. وكان من ذلك نشر أخبار سلطوية الطابع هزيلة المضمون، تكاد تقتصر على الأخبار الرسمية، أو أنشطة كبار رجال السلطة، ونادرا ما تحمل المعلومات التي تهتم أغلبية الناس وتثري مخزون المعرفة الناقصة لديهم). الشئ الذي يبين بأن الإعلام قد يقدم ويساهم في بناء مجتمع المعرفة مالم يكن مقيدا تحت السيطرة الحكومية... (7)

3 - خطر وسائل الاتصال وتأثيرها المجتمعي :

إن لوسائل الإعلام دور كبير وتؤثر تأثيرا كبيرا في بناء أو تخريب الأسرة. أي تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، فقد تؤثر إيجابا على الأفراد من خلال تعليمهم السلوكيات الصحية، وقد تؤثر عليهم سلبا حيث تساهم في جعلهم مدمنين أو منحرفين ومجرمين، لكننا وللأسف الشديد قلما نجدها في النوع الأول، وكثيرا مانجدها تؤثر سلبا وتحرض على الانحراف، وهذا ليس حكم عن طريق التلقائية وإنما عن كثرة وجود الباحثين والمهتمين بعلم النفس وعلم الاجتماع لنتيجة التأثير السلبي لوسائل الإعلام (أن موضوع التأثير السلبي لوسائل الإعلام لا سيما التلفزيون والسينما يثير جدلا كبيرا بين المهتمين بهذا الموضوع وعلى وجه الخصوص علماء النفس والاجتماع... ويكاد يكون من المسلم به أن التأثير السلبي لوسائل الإعلام يتجلى خصوصا لدى الأشخاص الذين لديهم الإستعداد للتأثير بالجوانب السلبية التي تبثه وسائل الإعلام، بحكم تكوينهم الشخصي وتنشئتهم وظروفهم

الإجتماعية والحالة النفسية التي يوجدون فيها أثناء تلقيهم للرسالة الإعلامية.(8).

-- ومن الأمور الصعبة هي أن الإعلام أصبح ينافس الأسرة والمدرسة (يتفق عدد من المهتمين بقضايا التنشئة الإجتماعية إلى أن وسائل الإعلام، ولا سيما التلفزيون، تلعب الآن دورا معارضا للدور الإيجابي لكل من الأسرة والمدرسة فيما يخص التأثير على الأطفال والشباب. ويشير الخبير الإعلامي {هالوران} إلى أن إحدى الدراسات الميدانية في هذا المجال توصلت إلى نتيجة مرعبة على حد تعبيره. وتتمثل هذه النتيجة في أن 87% من الأطفال في سن الحادية عشرة، الذين شملتهم الدراسة، أعلنوا أنهم يثقون بالتلفزيون أكثر من ثقتهم بأي مصدر آخر. ويضيف (وعندما سألنا هؤلاء الأطفال: إذا سمعتم قصة من والديكم أو من مدرسكم أو من التلفزيون، فأية رواية تصدقون، أجاب 54 % من هؤلاء أنهم يصدقون التلفزيون).

ويميل عدد من الخبراء الذين تناولوا بالدرس ظاهرة تأثير وسائل الإعلام على السلوك الإنساني إلى تأييد وجهة نظر {هالوران}. ويرى هؤلاء: أن الكثير من القيم التي كانت تتمسك بها الأسرة والمدرسة - خاصة في المجتمعات الغربية - أخذت في الإضمحلال لتحل محلها قيم مأخوذة من وسائل الإعلام ولا تستند إلى معايير أخلاقية وإجتماعية. وهذه الظاهرة بدأت تغزو بلدان العالم الثالث، بما فيها المجتمعات العربية، حيث بدأ جيل الشباب يفقد تدريجيا المرجعية الثقافية الوطنية وأصبح أكثر تأثرا بما ينقله إليه الإعلام الغربي مما أضعف تمسكه بما يسود مجتمعاته من قيم روحية وأخلاقية ومن عادات وتقاليد. .

ونجد عالم الإجتماع البريطاني غيدنز في أشكال الإعلام في التأثير على الجماعة يعتبران طبيعة الوسيلة الإعلامية المستخدمة في المجتمع تؤثر في بنية المجتمع أكثر مما يتركه المضمون أو المحتوى أو الرسالة التي تنقلها وسائل الإعلام

-- كما أن الفضائيات الوافدة إلينا عبر الأقمار الصناعية المختلفة والتي تلج إلى بيوتنا دون طلب الإذن منا، سلبت قيم أطفالنا وشبابنا ونحن نتفرج عليها دون أن نحرك ساكنا، بدواعي التحضر والانفتاح على ثقافات الآخرين، ومن دون أن نقوم بتوجيه وإرشاد أطفالنا وشبابنا فيما يختارونه من أفلام ومسلسلات وأخبار وأفلام كارتونية تناسب مرحلة نموهم وأيضا مراعاة البيئة التي يعيشون فيها، كما أننا أصبحنا غير مهتمين كأولياء أمور بالحوار مع أبنائنا في العديد من القضايا التي أصبحت تشكل هاجسا داخل الأسرة العربية، والتي أصبح الحديث فيها مع الأبناء من الممنوعات، مثل العلاقات الجنسية والزواج، والصدقة والتعارف والحب وتبادل المعلومات، وهذا ما يدفع بالأطفال والشباب خلال مراحل نموهم لمعرفة هذه المسائل إلى اللجوء لوسائل الاتصال والإعلام المختلفة، وذلك من أجل إشباع رغباتهم وحاجاتهم، وخاصة في مرحلة المراهقة التي يميل فيها الشباب إلى محاولة اكتشاف ومعرفة العديد من القضايا المرتبطة بشخصيتهم ومراحل نموهم.(9)

- ضف إلى ذلك القنوات الفضائية وشبكة الانترنت وغيرهما من الوسائط الحديثة الوافدة إلينا قد أثرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب ومناهج متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية بديلا عن كل قيم الضمير، وصبغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس كما انتقل دور الإسهام في بناء معارف الإنسان وثقافته من وسط بشري ملتزم بقيم محددة إلى وسط "تكنو-اتصالي" لا يقيم وزنا لهذه القيم، بعد الأسرة كان الخروج من المنزل والتفاعل مع المحيط المباشر أساسا للمعرفة والتعلم واكتساب الخبرات وبناء الذات وتنميتها وتطورها، أما اليوم فإن البقاء في المنزل أمام التلفاز وعلى الانترنت يتيح مدى أكبر للمعرفة والتعلم وسعة الإطلاع، لقد باتت خبرات المنزل أوسع من خبرات الشارع أو المدرسة أو المدينة في ضوء ما يتوافد إلينا من مضامين تحملها تكنولوجيا الاتصال الحديثة.(10)

4- مستقبل وسائط الاتصال وسبل العلاج

من خلال العرض السابق لدور وسائل الاتصال الجماهيري في تشكيل وعي المجتمع وصلفه بأشكاله المختلفة (الاجتماعي، السياسي، الثقافي، الاقتصادي..) نجد أنه كان من الأولى أن يُستغل الإعلام لتوعية الأجيال الشابة بقضايا مجتمعاتها وبواقعها المعاصر، لتنشأ نشأة مختلفة عما نراه اليوم بين شباب المجتمعات العربية الذين يتعرضون لتسطيح إعلامي يأخذهم نحو الانشغال بالأمر الاستهلاكية والشكلية، ويلهمهم عن القضايا المهمة والمصيرية.

إن حالة الخواء الثقافي والفكري التي نلاحظها في كثير من جيل الشباب في الفترة الراهنة لم تأت من فراغ، بل هي نتيجة لما يتعرض له هؤلاء الشباب من قِبَل وسائل إعلام، إما لا تعرف حقيقة دورها وأثرها في المجتمع، أو أنها تعرف ذلك وتدركه جيدا وتوظف تلك المعرفة وذلك الإدراك بهدف إنشاء جيل من الشباب الأجوف الخاوي ثقافياً وفكرياً، جيل لا يملك بالذات الحياة وشكلياتها كأن الدنيا أصبحت محصورة فيها، فأصبحت وسائل الإعلام المتحررة من كل القيود وأوجه الرقابة تركزها وترسخ الاهتمام بها في كل لحظة، وبكل وسيلة، لا توفر جهداً ولا وقتاً، مغفلة القضايا الحقيقية والأمور المصيرية التي يجب أن يوجه إليها المجتمع بكافة شرائحه، وخاصةً الشباب كي يكونوا عدّة وسند له في المستقبل وسط عالم منغمس بالمتغيرات. (11)

إن الإعلام أمانة ومسؤولية، والمؤسسة الإعلامية كالمؤسسة التربوية من حيث أثرها في تشكيل بنية المجتمعات ورسم ملامحها، وقد يتفوق أثر المؤسسة الإعلامية على التربية نتيجة عوامل مختلفة، منها طبيعة المادة التي تقدمها كل منهما ومدى مناسبتها لأهواء المتلقين، وتنوع أشكال المؤسسات الإعلامية، ومرافقتها لأفراد المجتمع في مختلف الأوقات والأماكن بعكس المؤسسة التربوية، وغير ذلك من عوامل، مما يستوجب استثمار الإعلام في

توجيه الشباب نحو ما يعود بالخير والنفع على المجتمع على الأمد البعيد.

ولكي تستطيع وسائل الإتصال الجماهيري (المؤسسات الإعلامية) القيام بمهامها التوعوية التي وجدت من أجلها عليها أن تعمل على:

- 1- العمل على تقديم برامج هادفة بحيث تكون للمادة الإعلامية ومضمونها فيها هادف لتحقيق احتياجات المجتمع من خلال دراسات تقييم مسبقة.
- 2- وضع آليات واستراتيجيات عملية لمواجهة طوفان المادة الإعلامية غير الهادفة، والتي تستهدف قيم ومفاهيم المجتمع، والعمل على تحقيق الإشباع السياسي، والثقافي، والاجتماعي، والتربوي.
- 3- تعميق وعي المجتمع بمضامين الغزو الإعلامي وسلبياته على الفرد وعلاقاته، والعمل على إبراز القيم التنموية في وسائل الإعلام من خلال التنسيق المتكامل بين الأجهزة المجتمعية المختلفة.
- 4- العمل على تطوير برامج واقعية تكون قادرة على استقطاب الشباب وتزويدهم بمعلومات وحقائق عن واقعه وتناول أهم القضايا التي تمس واقعهم، بحيث يعدها ويقدمها الشباب أنفسهم لمناقشة مشاكلهم التي هم أدري فيها من غيرهم.
- 5- تفعيل دور الجامعات والمؤسسات غير الحكومية في الإسهام في التخطيط والتنفيذ والتقييم للبرامج الإعلامية التوعوية الهادفة سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً.
- 6- التركيز على مفاهيم المواطنة والانتماء والهوية والحقوق والواجبات.
- 7- تعزيز وسائل الإعلام باليات وكوادر خبيرة بالوضع المجتمعي من أجل النهوض الفكري والتنموي بالمجتمع.
- 8--مراقبة البرامج المحلية التي قد تسهم في تفشي قيم ومظاهر سلبية لدى الشباب وخاصة في يتعلق بالعنف والتعصب الأعمى والتكفير، واستبدالها بنشر قيم إيجابية وتعزيز ثقافة احترام الرأي الآخر والاستفادة من تجارب الآخرين.

خاتمة:

إن وسائل الاتصال الحديثة بشتى أنواعها السمعية أو المرئية ، أصبحت اليوم تؤدي دورا كبيرا في تشكيل الوعي المجتمعي بالنسبة إلى الفرد أو المجتمع سواء كانت هذه الرسالة سلبية أم ايجابية ، كما أن استخدامها أصبح حتمية لا مفر منها في وقتنا الحاضر ، نظرا لما تقدمه من تسهيلات ودقة وسرعة فالتخلف عن ركب تكنولوجيا الاتصال يكلفنا أحقابا زمنية من التخلف ، لذلك لا يمكننا تصور حياة معاصرة بدون هذه الوسائط الجديدة ، كما انه من واجبن إدراك خطورة وسائل الاتصال واستشراف مآلاتها وتحولاتها خدمة لمصالحنا ومستقبل شبابنا ومجتمعنا وهو ما يحدث اليوم مع الاعتماد المتزايد على الانترنت ، أصبحت منصات التواصل الاجتماعي

تؤدي دورا رئيسيا في بناء الوعي وصارت ركنا أساسيا للتواصل اليومي ، واستقبال المعلومات بالنسبة لكثير من الأشخاص في العالم .

قائمة المصادر والمراجع :

- الاتصال الجماهيري : إدوين إمري وآخرون . ترجمة سلامة ابراهيم سلامة .
- حسن عماد مكاوي ، تكنولوجيا الإتصال الحديثة في عصر المعلومات . الدار المصرية اللبنانية .
- شيرين الضاني . الحوار المتمدن ، دور وسائل الاتصال الجماهيري في تنمية الوعي الاجتماعي (دراسة في انترولوجيا الاتصال)
- محمد المستاري . علاقة التأثير الاجتماعي بوسائل الاتصال الجماهيري .
- محمد الفتاح الحمدي . وسائل الاتصال والاعلام الحديثة . وقيم الشباب .